الوحي

أُطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معانٍ متعددة أشهرها:

١ ـ **الإشارة**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: أشار إليهم.

٢ ـ **والرسالة**: قال ابن الأعرابي: أوحى الرجل، إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة.

٣ ـ **والإلهام**: قال الزجّاج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١]:

قال بعضهم: ألهمتهم كما قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [طه: ٣٨].

٤ ـ **والكلام الخفي**: قال الكِسَائي: أوحيت إليه بالكلام أحي به، وأوحيته إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره، وقال ابن الأنباري في قولهم: أنا مؤمن بوحي الله، قال: سمي وحياً لأن الملك أسرّه على الخلق، وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه، قال ﷻ: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] معناه: يسر بعضهم إلى بعض، فهذا أصل الحرف، ثم قصر الوحي للإلهام.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل.

٥ ـ **والأمر**: كقوله ﷻ: ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١] كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، وكقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٥].

٦ ـ **والكتابة والمكتوب والكتاب**:

قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء. ولذلك صار

الإلهام يسمى وحياً. قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها[1].

والوحي بالمعنى الاصطلاحي:

هو أن يُعْلِم الله تعالى مَن اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[2].

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزُّهْري: سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به، ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدّث به الناس حديثاً، ويبيّن لهم أن الله أمره أن يبيِّنه للناس، ويبلغهم إياه[3].

❋ ❋ ❋

أنواع الوحي

جمع أنواع الوحي قوله ﷻ:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

تفيد هذه الآية الكريمة أنه: ما صحّ لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على أحد ثلاثة[4] أوجه:

---

(١) لسان العرب مادة (وحي) والقاموس المحيط مادة وحي.
وانظر تفسير الرازي والقُرْطُبي والبَيْضَاوي في مواضع الآيات المذكورة ومفردات الراغب مادة (وحي)، وذكر القاضي عِيَاض في الشفاء ج١ ص٢٥٢ قولين في أصل الوحي: أولهما الإسراع ومنه تلقي النبي لأنه على عجل ومنه الإلهام. ومنه الخط لسرعة حركة اليد... وثانيهما السر والإخفاء ومنه الإلهام وإيحاء الشياطين أي وسوستهم.

(٢) مناهل العرفان ج١ ص٥٦.

(٣) الإتقان ج١ ص٤٤.

(٤) قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية ج٢٧ ص١٨٧: (واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام، فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. فهذا هو الكلام في تمييز هذه الأقسام بعضها عن بعض).

الوجه الأول: وحياً.

أي: إما عن الوحي وهو:

أ ـ الإلهام والقذف في القلب: كما أوحى الله إلى أم موسى أن أرضعيه، ومنه قوله ﷺ: «**إن روح القُدُس نفثَ في روعي**[1]: **إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجَلَها وتستوعب رزقها...**».

ب ـ الرؤيا في المنام: كما أوحى الله إلى إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، ومنه مبدأ وحي النبي محمد ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

الوجه الثاني: أو من وراء حجاب.

أي وإما على أن يُسمعه كلامه من غير واسطة مبلِّغ.

كما أسمع الله تعالى موسى كلامه من غير واسطة.

وكذا الملائكة الذين كلّمهم الله تعالى في خلق آدم عليه السلام.

الوجه الثالث: أو يرسل رسولاً.

أي وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة، فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري. ورسول الملائكة هو جبريل عليه السلام[2].

ولنزول جبريل عليه السلام على الرسول محمد ﷺ أساليب مختلفة هي:

أ ـ أن يأتي إلى النبي ﷺ على صورته الحقيقية الملكية.

ب ـ أن يأتي إلى النبي على صورة رجل فيكلمه، كما في صحيح البخاري[3]: «**وأحياناً يتمثَّل لي الملَكُ رجلاً فيكلِّمني، فأعي ما يقول**» وزاد أبو عَوَانة في صحيحه: «**وهو أهونه عليّ**».

فيراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم[4]

---

(١) الروع (بضم الراء) العقل والقلب. والحديث رواه أبو نُعَيم في الحِلْية عن أبي أمامة، وهو ضعيف/ الجامع الصغير ج١ ص٩٠.

(٢) انظر تفسير الرازي ج٢٧ ص١٨٦ وتفسير القرْطُبي ج٨ ص٥٨٧٣ وروح المعاني للآلوسي ج٢٥ ص٥٤ وزاد المعاد ج١ ص١٨ والإتقان ج١ ص٤٤.

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب بدء الوحي ج١ ص٢.

(٤) صحيح مسلم ـ أول كتاب الإيمان ج١ ص٣٦.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثر السفَر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه وقال: «**يا محمد أخبرني عن الإسلام**...» إلخ. وكان قد سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان وإمارات الساعة، ورسول الله ﷺ يجيبه، حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب، قال رسول الله ﷺ: «**فإنه جبريل عليه السلام، أتاكم يعلِّمكم دينكم**».

جـ - أن يأتي إلى النبي ﷺ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال.

والرسول ﷺ يصف حالته عند الوحي فيقول: كما في صحيح البخاري: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرَس، وهو أشَدُّه عليَّ، فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال**».

قال الخطابي:

والمراد إنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتثبته أول ما يقرع سمعه، حتى يفهمه من بعد ذلك.

والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوحي، فلا يبقى فيه مكاناً لغيره.

وفي الصحيح كما تقدم آنفاً أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه.

قيل: إنه إنما كان ينزل هكذا، إذا نزلت آية وعيد أو تهديد[1].

وسيأتي كلام آخر عن أحوال النبي ﷺ عند الوحي، وذلك عند الكلام عن الوحي (الوحي أمر خارج عن النفس) بعد قليل.

❋ ❋ ❋

كيفية الوحي ونزوله على النبي

العلم بكيفية الوحي سر من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وسماع الملك من الله تعالى ليس بحرف أو صوت، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً، فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر، فسماعه الذي يخلقه لعبده ليس من جنس سماع الأصوات[2].

---

(١) الإتقان وزاد المعاد السابقان وإرشاد الساري شرح البخاري ج١ ص٥٨ والنووي على صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري ج٩ ص١٨٣.

(٢) إرشاد الساري ج١ ص٥٩.

ولنزول الوحي على النبي طريقان:

أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية، وأخذه من جبريل.

وثانيهما: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه[1].

وفي الحالتين صعوبة وشدة على الجِبلّة البشرية، لذلك كان يحدث في تلك الحالة غيبة وغطيط[2].

وصورة اندماج النبي بالملك يمكن أن يتصورها الذهن، حين يتصور التنويم المغناطيسي، الذي كشفه الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر، وأقام عليه البراهين، حتى اعترف به العلماء علمياً، بعد أن اختبروا الآلاف من الخلق، وله في الغرب أنصار كثيرون، وله دور وكتب ومستشفيات يؤمها الناس للتداوي به.

وفيه يسيطر الأستاذ المنوّم على الوسيط بإيحاءاته، فيغط الوسيط بنومه، فيسأله عما يريد، فيجد الجواب حاضراً، وقد يأمره أو ينهاه، فينفذ الوسيط ذلك ولو بعد صحوه. ولا بد أن يكون بين نفسين مختلفي الطبائع إحداهما أقوى إرادة من الأخرى، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهذه التجربة على نفسه.

فالتنويم المغناطيسي يقرب أمر الوحي، فاتصال الملك بالرسول يؤثر به لاستعداد خاص فيهما، ففي الملَك قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك، لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك، وعند تسلط الملك ينسلخ الرسول عن حالته العادية، فيظهر التغير عليه، فيتلقى من الملك، وينطبع في قلبه ما تلقاه، حتى إذا انجلى عنه الوحي، وجد ما تلقاه منقوشاً على قلبه، لا ينساه[3].

ثم إننا لم نجد ما يدفع هذا الاتصال بين الملك والنبي، بدليل:

إن العلم الحديث يسّر لنا الأجهزة العلمية، التي أدركنا بها ما كان مجهولاً من قبل. فمن هذه الأجهزة ما سجّل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء، ومنها ما يدلنا

---

(١) الإتقان ج١ ص٤٣ والوحي المحمدي ص٨٣ وفيه قول ابن خلدون، وإرشاد الساري ج١ ص٥٩.

(٢) إرشاد الساري ج١ ص٦٠.

الجِبلّة: الخِلْقة.

(٣) مناهل العرفان ج١ ص٥٩ ـ ٦٠ وفيه أمثلة عن تجارب التنويم المغناطيسي، والنبأ العظيم ص٧٥ ـ ٧٦.

على صوت ذباب طائر على بُعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك. وهذه الآلات الحديثة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سماعه بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسماع لا تخص الآلات العلمية الحديثة، وإنما وهبها الله تعالى بعض الحيوانات.

فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مرّ من الطريق، وقد استغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف.

وحشرة (العُثَّة) مجنَّحة، لو وضعتها على نافذة فستُحدث صوتاً يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جداً، ويجيبها الزوج بطريقته الخاصة.

والجُنْدُب يحك رجليه وجناحيه، ويصوِّت بطريقة غير عادية، ويسمع على بُعد نصف ميل.

ولأبي النطيط قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين...

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى[1].

❀ ❀ ❀

الوحي أمر خارج عن النفس

الاعتقاد بالوحي هو الأساس الذي يبنى عليه الاعتقاد بالنبوات، وهي الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها.

لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش، وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ، حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر.

---

(١) الإسلام يتحدى ص٩٦ ـ ٩٧.

حتى قال هؤلاء من المستشرقين[1] وغيرهم: إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها.

أما نحن فنعتقد: أن الوحي ليس هو من قبيل الحدس، والشعور الباطني، ودلالات النفس، والفراسة السريعة، التي غالباً ما تتأثر بالرياضات الروحية، والتفكير المستديم الطويل، أي أنه ليس من قبيل الوحي النفسي، الذي هو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية والسريرة الظاهرة[2].

لأن هذه لا تنشيء المعرفة التامة واليقين الكامل، الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة.

بل إن الوحي هو (أمر طارىء زائد على الطباع البشرية)[3]، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية، بواسطة الملك الموكل بذلك.

والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومعالمه، وما يطرأ على النبي ﷺ من ظواهر، يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس.

يتضح ذلك في الأمور الآتية[4]:

١ ـ حين جاء الملك جبريل في غار حِرَاء إلى النبي ﷺ أمره بالقراءة ـ وهو أُمّي ـ كما جاء في صحيح البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: فقال له ـ جبريل ـ : «**اقرأ**[5]»، قال: **ما أنا بقارىء**، قال ـ أي النبي ـ: **فأخذني فغَطَّني**

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ط٣ ج١ ص١٣٤.

(٢) الكلام عن الوحي النفسي في الوحي المحمدي ص٦٦.

(٣) إرشاد الساري ج١ ص٦٠.

(٤) انظر الوحي المحمدي ص٨٩ وما بعدها، ومناهل العرفان ج١ ص٥٦ وما بعدها، وج٢ ص٢٨٥ وما بعدها، والنبأ العظيم ص٢٠ وما بعدها، والظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص١٦٥ وما بعدها، ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص٢٢ وما بعدها، وكبرى اليقينيات الكونية ص١٩٨ وما بعدها، والرسول لسعيد حوى ج٢ ص١٣ وما بعدها.

(٥) الأمر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف ـ أي: كن قارئاً ـ. ولذلك قال له في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقداره إياك على القراءة، لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أُمّي، أما وقد شاء ربك أن يخلق الإنسان من علق، ويجعله بصيراً وسميعاً، شاء أن يجعلك قارئاً، لما يوحيه إليك، لتقرأه على الناس، فأنت تكون قارئاً/ الوحي المحمدي هامش ص٨٥.
وغط جبريل الرسول ﷺ ليفرغه عن النظر إلى أمور الدنيا، ويُقبل بكليته إلى ما يلقى إليه، وكرره للمبالغة، وقيل: غيره./ إرشاد الساري ج١ ص٦٣.

ـ أي: ضمّني بشدة وعصرني ـ **حتى بلغ من الجَهْدَ، ثم أرسلَني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾».

فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خُوَيْلِد رضي الله عنها، فقال: «**زَمِّلوني زَمِّلوني**» فزمّلوه، حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «**لقد خَشِيتُ على نفسي**».

وقد عبّر النبي ﷺ عن رعبه من رؤية الملك جبريل، في رواية أخرى للبخاري في تفسير سورة المدثر: «**فَجُئِثْتُ منه رُعْباً**» وفي رواية أخرى: «**فجئثتُ منه هويت إلى الأرض**» وجئثت بمعنى: فزعت وخفت.

ولذلك لم تجد زوجته خديجة وسيلة تطمْئِن النبي على نفسه، وتطمئن هي عليه، إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن، وهو ابن عمها وَرَقة بن نَوْفَل، الذي قرأ كتب اليهود والنصارى وطمأنهما، وقال: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى.

يتضح بعد هذا: أنّ ضم الملك جبريل للنبي، وعصره إياه بشدة، وأمره بالقراءة ثلاثاً، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي، ونفي كونه نفسياً أو خالياً، ولذلك خُيِّل إليه أنه قد أَلَمّ به، فأسرع إلى زوجته، يشركها فيما جرى له من اضطراب ورعب وحيرة، يرجف فؤاده خائفاً، ويخشى على نفسه الموت، من هول ما رآه، فقال لها: «**زَمِّلوني زَمِّلوني**» ملتمساً الدِّثار، ليسكن إليه، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْع.

ويعاوده الوحي مرة أخرى بعد فترة من الزمن، يأمره ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ...﴾ فيتأمل الرسول ﷺ بهذا الأمر، وهو حيران، فيقول لخديجة: «**لقد أمرني جبريل أن أُنذر الناس، فمَن ذا أدعو، ومَن ذا يستجيب؟**».

كل هذا يدل على أن الوحي ليس بذاتي، وإنما هو خارجي عن نفس النبي ﷺ من الله تعالى بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

٢ ـ الظواهر التي تصاحب النبي ﷺ حين يوحى إليه، تشهد أن الوحي لم يكن من قبيل حديث النفس، منها:

أ ـ يسمع النبي ﷺ صلصلة شديدة عليه، كصلصلة الجرس المتصلة الشديدة المتداركة. ففي حديث البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ[1]:

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٢.

«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّه عليّ، فيفصِم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال».

ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب: عرَق النبي في البرد حين يأتيه الوحي.

وفي مسند أحمد[1] عن عبدالله بن عمرو ﷺ: سألت النبي ﷺ: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: **«نعم أسمع صلاصل، ثم أسكت عن ذلك، فما من مرة يُوحى إليّ، إلا ظننت أن نفسي تفيض»**.

ب ـ يتفصَّد عرقاً في اليوم الشديد البرد:

ففي حديث البخاري عن عائشة ﷺ قالت: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإنّ جبينه ليتفصد عرقاً).

وفي صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: (إن كان ينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عَرَقاً) كتاب الفضائل ـ باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي. وفي صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: (حتى إذا أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء عند الوحي، حتى إنه لَيتحدَّر منه مثل الجُمَان من العرَق في اليوم الشات، من ثِقَل القول الذي أنزل عليه) من حديث الإفك. وهو في صحيح البُخاري من حديث الإفك أيضاً.

جـ ـ يغط في رأسه، ويتربّد وجهه (أي: يتغير فيصبح كلون الرماد):

ففي صحيح مسلم عن عُبَادة بن الصامِت ﷺ قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي، كَرِبَ لذلك، وتربّد وجهه).

وفي رواية أخرى:

(كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي، نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أُتلي عنه ـ أي: ارتفع عنه الوحي ـ رفع رأسه) كتاب الفضائل، باب عرق النبي في البرد حين يأتيه الوحي.

لذلك كان يُستر وجهه بثوب عند نزول الوحي عليه، وله غطيط من الآلام التي يعانيها من الوحي.

ففي البُخاري ـ باب يفعل في العُمْرة ما يفعل في الحج ـ عن يَعْلَى بن أُمَيّة: أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجِعْرانة، وعليه جُبَّة، وعليه أثر الخَلُوق (وهو نوع من

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٢ ص٢٢٢.

الطيب) أو قال: صُفْرة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عُمرتي؟ فأنزل الله على النبي ﷺ، فسُتر بثوب، ووَدِدْتُ أني قد رأيتُ النبيَّ ﷺ وقد أُنزل عليه الوحي، فقال عمر: أيسُرُّكَ أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله الوحيَ؟ قلت: نعم. فرفعَ طَرَف الثوب، فنظرتُ إليه، له غَطِيط (صوت فيه بحوحة) وأحسِبُه قال: كغَطيط البَكْر (الفتى من الإبل). فلما سُرِّيَ عنه، قال: «**أين السائل عن العُمْرة؟ اخلَعْ عنك الجبّة، واغسل أثر الخَلوق عنك، وانْقِ الصُّفرةَ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجّك**».

د ـ يسمع الصحابة عند وجه النبي ﷺ حين الوحي دوياً شديداً، كدوي النحل حين ينطلق من خليّته. كما جاء في صحيح الترمذي ـ باب التفسير (من سورة المؤمنون) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي، سمع عند وجهه كدَوِيّ النحْل).

هـ ـ يثقل جسمه ﷺ عليه:

ففي حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل ـ أي القرآني لثقله عليه ـ شدة). وسيأتي الحديث بلفظه كاملاً بعد قليل.

وفي زاد المعاد: يذكر حال نزول الوحي عليه ﷺ: (حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه، حتى كادت ترضّها)[1].

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبيّ، ليرتاض جسده على تحمُّل عبء النبوة.

كل هذه الظواهر تدل على أن الوحي مستقل عن نفس محمد ﷺ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمُّل لا يستدعي ظهور هذه الأعراض التي ذكرناها من: الآلام، والغطيط، وتربد الوجه، وتفصد العرق في اليوم الشديد البرد...

٣ ـ الوعي الكامل والحفظ المضبوط لما أُنزل عليه ﷺ عند الوحي وبعده.

وعرض جبريل عليه السلام القرآن الكريم كلّ سنة على النبي ﷺ، لا يدخل في هوى النفس، ولا يعتبر من إلهاماتها بأية حال.

ففي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصِم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلّمني، فأعي ما يقول**».

---

(١) زاد المعاد ج١ ص١٨ وحديث الرض رواه البخاري في كتاب الجهاد باب قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ...﴾/ انظره في إرشاد الساري ج٥ ص٦١.